مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019
ص: 168- 183 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

قراءة سيميائية في المجموعة القصصية" أوهام لم تتحقق" لـ: الطيب عطاوي

Semiotic Reading in the Story Collection of "Illusions not Fulfilled " by:Tayeb Atawi

[*] **بوفلجة لودي** (طالب دكتوراه)

Loudi Boufeldja

جامعة طاهري محمد/ (بشار)

University of Bechar/ Algeria

تاريخ الإرسال: 2019/02/17	تاريخ القبول: 2019/09/12	تاريخ النشر: 2019/12/01

الملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى الاستعانة بالسيميائية، وأدواتها الإجرائية التي تمنح الدارس إمكانية رصد المعاني والدلالات والرموز الكامنة داخل النص، وتُمكنه من الغوص في أعماقه، وتساعده على دراسة السلوك الإنساني وما يشكله من أفعال وتصرفات، وطقوس، ومظاهر اجتماعية، وأنساق فكرية وثقافية. وقد وقع اختيارنا على المجموعة القصصية "أوهام لم تتحقق" للكاتب الطيب عطاوي للكشف عن دلالاتها وفك رموزها، واستنباط الوظائف السردية المتعددة والمتنوعة لشخصيات هذه المجموعة القصصية.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، العنوان، الوظائف السردية، الشخصيات، الزمان والمكان.

Abstract:

Through this study we seek to use semiotics, and its procedural tools that give the researcher the possibility to monitor the meanings, significances and symbols hidden in the text, and enable him to dive into its depths, and help him to study human behavior and what shapes it in terms of actions, conducts, rituals, social aspects, intellectual and cultural patterns.

To carry out this semantic analysis we have chosen the story collection "Illusions not Fulfilled" by the author Tayeb Atawi, in order to decrypt their symbols and connotations, and to deduce the multiple and varied narrative functions that shape the personalities of this story group.

Keywords: Semiotics, Title, Narrative Functions, Personalities, Time and Place.

[*] بوفلجة لودي . loudiboufelj@gmail.com

مقدمة:

تتميز المجموعة القصصية للكاتب الطيب عطاوي* الموسومة بـ " أوهام لم تتحقق " بثرائها الفكري والثقافي، واللغوي « فاللغة هي مفتاح المعرفة، وهي أداة التخاطب بين الأفراد والشعوب وهي وسيلة للتفاهم، أو لغير التفاهم أيضا، بين المتجادلين والمتحاورين، بها تعلن الحروب، وبها تعقد اتفاقات السلام. بل بها يتم إعلان الإيمان، وبها يتم ختم الإيمان، وفي الإسلام، على قلب المحتضر وهو يفارق الحياة.»[1]

واللغة بهذا المفهوم تتمظهر في ردود أفعال وأقوال الشخصيات والحالة التي تؤول إليها ذواتهم، تحذوهم في ذلك هواجس تحقيق النزعات والرغبات، وتعدد الأصوات دليل قاطع على التعدد اللغوي داخل هذه المجموعة القصصية، لقد رافق تعدد الأصوات هذا تعدد في الأزمنة والأمكنة، وبالتالي تعدد المضامين والمواضيع، الأمر الذي يبدو جليا وواضحا فيما تقدمه هذه المجموعة من وصلات اجتماعية، تفصح لنا عن سلوكات وعادات وقيم لفئات مختلفة من المجتمع، هذه الفئات التي تندرج ضمن الطبقة الكادحة والتي تسعى جاهدة لتحقيق أوهام، تعددت مضامينها واختلفت باختلاف شخصيات وأبطال هذه المجموعة.

بناء على ما تقدم تسعى هذه الدراسة إلى إثارة مجموعة من الأسئلة والإجابة عليها في ورقة هذا المقال: هل تمكننا السيميائية بالفعل من فك شفرات هذه المجموعة القصصية؟ وهل تعيننا على كشف مقاصدها ودلالاتها، ومعانيها الخبيئة؟ هل السيميائية كفيلة برصد تحولات الشخصيات، واستلهام وظائفها السردية؟

*** مفهوم السيميائية:**

أضحى النص الأدبي في عهد القراءة السيميائية يحظى بقراءة متسائلة محاورة يتم من خلالها فك رموزه وسبر أغواره، وقد شهدت السيميائية في النقد العربي اختلاف كبير في المصطلح إذ يتجلى ذلك بوضوح تام في تنوع وتعدد المسميات، التي نجد منها: السيميولوجيا، السيميوطيقا، علم العلامات، علم السيمياء، علم الإشارة... إلخ، وعلى الرغم من تعدد مفاهيمها وتغيرها من اتجاه لآخر، يبقى الإجماع العام على أن السيميائية « هي دراسة الإشارات، وهي ليست محض منهج لتحليل النصوص، إنما تتضمن نظرية الإشارات وتحليلها، إضافة إلى الشفرات والممارسات الدالة.»[2]

وبهذا الحال تكشف لنا السيميائية حقيقة العالم الذي نعيش فيه، فهو عالم مليء بالإشارات، أضف إلى ذلك أن النص في نظر السيميائيين حامل لدلالات ورموز ومعاني، يتم قراءتها وفق آليات وإجراءات محكمة، على أية حال لقد تمكنت السيميائية من فرض سيطرتها وهيمنتها على الساحة النقدية الغربية والعربية على حد سواء، ذلك أنها تعنى بدراسة العلامات التي بواسطتها يتم التواصل بين الناس إما عن طريق اللسان أو الرمز والإشارة، وانطلاقا مما سبق وعلى ضوء المعطيات التي بين أيدينا « يبدو أن السيميائيات تجاوزت هذا الفهم المتحجر، فقد أصبح ينظر إليها باعتبارها لعبة التفكيك والتركيب، وتحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا، كما تحولت السيميائيات إلى منهج يبحث عن حيثيات أسباب التعدد، ولا نهاية الخطابات والنصوص والبرامج السردية، وتسعى في الوقت نفسه إلى اكتشاف البنيات العميقة الثابتة، والأسس الجوهرية المنطقية التي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمل.»[3]

لقد فتحت السيميائية الأفق أمام الدارس، فهي وسيلته في دراسة السلوك الإنساني وما يشكله من أفعال وتصرفات وطقوس، ومظاهر اجتماعية، وأنساق فكرية وثقافية، أضحت القراءة في الوقت الراهن عملية جدلية بين النص ودارسه، لايتم اكتمالها إلا بحضور كل من النص والدارس.

مما لا شك فيه أن هذه القراءة تعمل على مستويين المستوى السطحي(البنية السطحية)، والمستوى العميق (البنية العميقة)، لرصد الدلالات والمعاني « ولعل هذا ماحاول أصحاب السيميائيات السردية وعلى رأسهم غريماس القيام به كإجراء أولي قبل مباشرة أية إجراءات أخرى، حيث عمدوا إلى تقسيم النص إلى مستويين رئيسيين يتفرع كل واحد منهما بدوره إلى قسمين(مكونين) فرعيين متكاملين هما: المستوى السطحي والمستوى العميق.»[4]

تعتمد القراءة السيميائية على تحليل الوحدات الكبرى إلى وحدات صغرى للظفر بالمعنى، ورصد الدلالات الخبيئة وراء المعاني، وعملية ربطها بالواقع والمحيط الخارجي، وهي بذلك تتجاوز القراءة التقليدية للنص، إلى قراءة جدلية فاعلة بين النص ومتلقيه وبالتالي

«فإن قدرتها على دراسة الأجناس والفنون المختلفة ممكنة الحدوث ويمكن دراسة كل مفردات الحياة سيميائيا، لأن كل ما نقوم به له دلالات سيميائية طعاما وشرابا ولباسا وحركات وعادات وتقاليد.»[5]

لقد تجاوزت السيميائية بهذ الشكل البنية اللغوية إلى المرجعيات المعرفية والتأويلية للنص، فلم يعد السيميائي في الوقت الراهن يهتم بدراسة البنيات وعلاقاتها الداخلية، بل تجاوز ذلك إلى المؤثرات الخارجية، أي ربط النص بالواقع « وهكذا ينطلق التحليل السيميائي من آخر مرحلة وصل إليها التحليل اللساني على المستوى الأفقي، ليدخل مرحلة تفسير المعطيات وتأويل العلاقات الترابطية بين الدلالات. وقد تمثلت السيميائية بصورة خاصة في محاولة تجاوز البنية اللغوية الداخلية إلى الأنظمة الخاصة، بما فيها المرجعيات الثقافية والدينية وغيرها التي ينتمي إليها الخطاب، والملابسات التأويلية المختلفة.»[6]

إن هذه الإجراءات التي تمتلكها السيميائية، هي التي جعلتنا نعتمد عليها لدراسة هذه المجموعة القصصية، والغوص في أعماقها للظفر ببنياتها العميقة ورصد العلامات والدلالات والرموز، هذا من جهة ومن جهة أخرى تتيح لنا السيميائية إمكانية ربط النص بالعالم الخارجي من مرجعيات معرفية ودينية وثقافية.

وللوقوف على دلالات المجموعة القصصية " أوهام لم تتحقق " للكاتب الطيب عطاوي تطرقنا إلى ما يلي: سيميائية العنوان، سيميائية الوظائف السردية للشخصيات، سيميائية الشخصيات، ، سيميائية الزمن والمكان.

1. سيميائية العنوان:

لا يخفى على الدارس أن لكل شيء بداية، وأن لكل رواية، أو قصيدة شعرية، أو قصة عنوان تعرف به، أو تشتهر به، فالعنوان هو بمثابة عتبة الباب للدار، أو كالاسم لصاحبه، فلا يمكن لأي كان الاستغناء عن اسمه، أو عنوانه، فالقارئ أول ما يقف عليه هو العنوان.

هذا العنوان الذي يساعد ويعين الدارس على الاستكشاف والاستطلاع، ويشده إلى معرفة فحوى النص، ويكون ذلك بحسب ما يتماشى مع أهوائه ونزعاته ورغباته، على هذا الأساس « يفتح العنوان أفقا توقعيا لدى المتلقي قارئا كان أو مستمعا، بناء على كلمات النص المصغر (العنوان)، فتتكون لديه فرضيات، فهو لا يدخل فضاء القراءة صفحة بيضاء، وإنما لديه ذخيرة

مكونة قبلا، تدخل فيها معرفته بمقاصد الكلام، وأدوات التواصل اللغوية والرمزية، وتجاربه القرائية السابقة، وما يعرفه عن الكاتب، أو الشاعر، وظروف إنتاج النص وغيرها.»[7]

فالعنوان علامة سيميائية بامتياز لولوج العالم الداخلي لأي نص، وعتبة قرائية تفصح عن مدلولاته ورموزه، والعكس صحيح، فدلالة العنوان تتحدد سيميائيا من خلال ما يدور داخل أي نص، ونسجل في النهاية تناغما وانسجاما بين النص وعنوانه، ولا يمكن لأي منهما الاستغناء عن خدمات الآخر.

تتألف المجموعة القصصية للكاتب الطيب عطاوي الموسومة بـ " أوهام لم تتحقق" من ثماني قصص تُختزل في عناوين فرعية مختارة بدقة تعالج مضامين وقضايا اجتماعية محضة من أثر الواقع، بأسلوب رشيق وواضح، وذلك حتى يتمكن الدارس من فهم معانيها والوقوف على دلالاتها، كما أن الكاتب نسج أفكار هذه المجموعة بإتقان، وتفنن في تصوير مشاهدها، ورسم معالمها انطلاقا من العنوان الرئيس: " أوهام لم تتحقق " إذ يحيل لفظ أوهام، على أن كل ما يدور في مخيلة الشخصيات من آمال وطموحات، هي عبارة عن وهم وسراب، وليزيل الكاتب الإبهام والضبابية عن القارئ، استعمل أداة الجزم " لم " مؤكدا على أن هذه الأوهام لم تتحقق، فحقيقة الأوهام أنها لا تتحقق بالفعل، وفي هذا انسجام بين مفردات العنوان، وأن المعنى لا يكتمل بنقصان أي مفردة. فدلالة العنوان تتحدد سيميائيا من خلال ما يدور داخل المجموعة القصصية من أحداث وحوار بين الشخصيات، التي غدت أفكارها وغاياتها ومقاصدها أوهام لم تتحقق، وقد جاء في المعجم الوسيط أن:[8]

* **الوهم**: ما يقع في الذهن من الخاطر.

* **توهم الشئ**: ظنه وتمثله وتخيله كان في الوجود أم لم يكن، والخبر فيه توسمه وتفرسه.

إن ما نلمسه في واقع الأمر هو ذلك التشاكل والتماثل بين العنوان الرئيس مع مجموعة العناوين الفرعية ومتن المجموعة القصصية، فهذه الأخيرة تكتسي قيما دلالية تعبر عن حالة من التيه والوهم، وكسر الخواطر، وبالتالي تؤول إلى البؤس وخيبة الأمل وأفق الانتظار.

وللوقوف أكثر على دلالات ومضامين هذه المجموعة القصصية اخترت القصص التالية للدراسة والتحليل:

1) تحت مقصلة الإهمال (قطار التسول)، 2) الأفعوان، 3) الاجتماع، 4) على الهامش، وذلك لاستنباط وكشف الدلالات والرموز الكامنة داخل هذه القصص، إذ تتجلى ملامح الارتباط بين مقاطع هذه القصص والعنوان الرئيس في صورة عامة تمثل عجز شخصياتها وأبطالها عن تحقيق آمالهم وطموحاتهم، وعدم الوصول إلى غاياتهم المرجوة، فكل ما يدور في أذهانهم ومخيلاتهم نوع من السراب، أو بالكاد أحلام لا تجسيد لها على أرض الواقع فالوهم يبقى وهم مهما حاول الإنسان العمل على تحقيقه، في النهاية الوهم خيبة للأمل وانكسار لأفق التوقع.

2. سيميائية الوظائف السردية للشخصيات:

إن الحديث عن هذه الوظائف هو عبارة عن رصد للأدوار التي تمثلها الشخصيات في المجتمع.

2.1. تحت مقصلة الإهمال (قطار التسول):

الأم وابنيها (فريدة وعمر): الطيب، المهمش، المظلوم، المحروم

الزوج (الأب): المستبد، الظالم، الانتهازي « تدخل المرأة وابنيها البيت وهم يحملون خبزتين وأربع بيضات، فيناديهم أمير المنزل: تعالوا هنا.. وبعدما يضعون لوازمهم أمامه يمد يده لاستقبال المبلغ المالي.»[9]

هكذا يتجسد لنا الصراع القائم بين الخير والشر، بين الحرمان والتسلط...إلخ

العطار: الحقود، الغيور، الحسود، عديم الإحساس« وخرج من مكمنه وهو يخور كالثور الهائج: ما هذا يا امرأة؟ انهضي من هنا.»[10]

2.2. الأفعوان: حميمو: اللعوب، الانتهازي، الجريء، الواثق من نفسه، المراوغ، عديم الوفاء بالوعد، الوفاء للزوجة «... لم يجهد نفسه في البحث عن العمل..ضحاياه كثر...ليس له أولاد ولا بنات »[11]

« نهض حميمو من مكانه ونشوة الانتصار تعلو محياه، إنه انتصار على المغفلين الذين يظنون أنهم ربحوا في تجارتهم لكن حميمو انتصر عليهم جميعا....»[12]

زوجة حميمو: ربة البيت، المدللة، اللعوبة، المحبة للمال

شخصيات ثانوية: سعيد صديق حميمو، فريد بن العربي...

2.3. الاجتماع: ثلاثة أفراد: الحرمان، الشقاء، البؤس، التهميش، الانحراف «... وأي سلام يحف هذه الأسماء؟ سلام لطالما بحثوا عنه في أرجاء المدينة. في المقاهي، في الحانات في الأسواق

والشوارع لكن لا حياة لمن ينادون. الكل كان ينظر إليهم من طرف خفي.. إنهم مجموعة لصوص لا مكان لهم في المجتمع. لا بد من نبذهم...شعورهم وهم يمرون مرور الكرام على محلات البيع أنبأهم بذلك.»[13]

2.4. على الهامش:

الأب: الطيب، الخلوق، المحترم، المهمش، المنبوذ « عاد الرجل المنهك إلى زاويته في الشارع وكان المطر قد سكن، ووضع أمامه ما قد تحصل عليه من عملية البحث عن الغذاء فيبسط بعظمتين لا زال بعض اللحم ملتصقا بها، وكذا قطيعات خبز منها الرطب ومنها اليابس.»[14]

الابن: الظالم، المتكبر، العاق، الخبيث، المذنب

زوجة الابن: المتسلطة، المتعجرفة، الشريرة، اللعوبة.

الممرض: فاعل الخير، الطيب، المحسن... « فأراد النهوض لكن ممرضا فاجأه بحضوره وهو يقول: لا تتحرك يا أبي.»[15]

يصور لنا كل نص مقتبس عن المجموعة القصصية ، قيما ووظائف مختلفة.

3. سيميائية الشخصيات:

لا يختلف اثنان أن للشخصية دور فعال في بناء السرد، فلا قيمة للزمن ولا للمكان، ولا للأحداث ولا للملفوظات دون وجود الشخصية، هذا المحرك الأساسي الذي يبنى عليه السرد، فلم تكن الشخصية في عهد مضى تحظى بمثل هذه المكانة المرموقة التي وصلت إليها اليوم في ظل التحولات والتغيرات التي شهدتها الساحة النقدية إذ « أصبح للشخصية في تحليل الخطاب السردي المعاصر شأن كبير في سلم الدراسات التحليلية الجادة التي تتابع مسار الشخصيات وهواجسها الجوانية، وعلاقاتها مع أخواتها من الشخصيات الأخرى عبر العمل السردي: إما بالتشاحن والتآحن، وإما بالتحاب والتعاطف، وخصوصا إذا عولج تحليلها بالإجراءات السيميائية الغنية بالعطاء الفني الذي لا ينضُب له مَعين.»[16]

فالشخصية عموما باتت أمرا ضروريا في أي عمل قصصي سواء كانت واضحة المعالم ومجسدة داخل النص، أم كانت مخفية غير مصرح بها، فهي تمثل عالما فريدا مستقلا بذاته، يعمل على تحريك العمل القصصي وبفضلها تتعدد الأصوات اللغوية داخل النص الواحد « إن الشخصية

ليست مجرد شكلية تافهة ولا هي زخرفة يستعين بها الكاتب على البهرجة والهيلولة فحسب، وإنما هي أكثر من ضرورية لأنها تعتبر المحرك الأساسي في العمل القصصي ولا سيما الرواية.»[17]

لقد أضحت الشخصية في عهد السيميائية بالذات تحتل مرتبة أساسية في العمل القصصي، فمنها الرئيسية و تسمى المحورية تتميز بالحيوية والحركية جلية المعالم، ومنها الثانوية أو ما يسمى بالمسطحة تتميز بالثبات، تنهض كل منهما بأدوار ووظائف سردية تتعدد أنماطها وأشكالها من شخصية لأخرى، منها على سبيل المثال لا الحصر: الطيب / الشرير، الظالم / المظلوم، المتفائل / المتشائم، المرح / الحزين، الواضح / الغامض... إلى غيرها من الوظائف والأدوار التي تتكفل السيميائية بفك شفراتها ورموزها ودلالاتها.

ولنساهم نحن بدورنا في تقريب مفهوم الشخصية أو الفاعول كما أسماها السيميائيون والكشف عن وظائفها السردية، وإبراز الدور الفعال والبناء الذي تنهض به الشخصيات داخل العمل القصصي عمدنا إلى قراءة سيميائية للشخصيات وما تحيل عليه من الوظائف السردية المنوطة بها داخل المجموعة القصصية " أوهام لم تتحقق " للكاتب الطيب عطاوي وقد تناولنا كما سلف ذكره أربعة أعمال من المجموعة القصصية للدراسة والتحليل.

3.1. تحت مقصلة الإهمال: (قطـار التسول)

لقد قدم الكاتب الشخصيات بشكل صريح ومباشر دون ترميز، ليدخل القارئ مباشرة في صلب الموضوع ويوفر عنه مشقة البحث عن هذه الشخصيات الموضوعة تحت مقصلة الإهمال بقوله: « وتدخل فريدة وعمر عقديهما الثاني، ويمشون جنبا إلى جنب رفقة أمهما يجوبون الشوارع فيستقر بهما الحال عند الشارع الرئيسي للمدينة قرب عطار حفظ مكانهما وضجر من عتاب أمهما فحول أمتعته للجانب الأيمن من دكانه.»[18]

إنها الشخصيات الرئيسية في القصة تدخل شبكة الإهمال، إذ نجد من هم في سن فريدة وعمر بداية العقد الثاني 10 أو 11 سنة) وهي مرحلة الطفولة، يزاولون دراستهم في المؤسسات التعليمية، ينهلون من العلم والمعارف، ويتمتعون بكامل الحقوق، بينما تجوب فريدة وأخوها عمر رفقة أمهما شوارع المدينة للحصول على جنيهات تسد رمق العيش، أضف إلى ذلك صراع الأم من أجل طفليها مع الزوج الانتهازي الذي لا يعرف من الحياة سوى الخمول والتعدي على حقوق الآخرين، وفي الجهة المقابلة ذلك العطار الذي كان يطاردهم كل ما نزلوا بجوار محله، وبهذا تزداد

معاناة الأم وهي في حيرة من أمرها: « إنها ترى ابنيها يموتان أمامها ولا تحرك ساكنا، إنها ترى الأبناء في مثل سنهما يذهبون إلى المدرسة يتعلمون ما يفيدهم بدلا من تعلم التسول والجري وراء دريهمات أكثرها يستولي عليها والدهم.. إنه عديم المسؤولية.»[19]

إنها ملحمة تراجيدية كما أسماها الكاتب " الطيب عطاوي " الذي تعامل بشكل صريح وواضح مع الشخصيات لا لشئ إلا ليصور مشاهدها التراجيدية بدقة، حتى يطلع الدارس على حقيقة الأمر الواقع للأم وابنيها، ولإبراز حجم المعاناة، ودرجة الإهمال استدل بالعبارات الأتية:

وجوههم مسودة – ثيابهم ملطخة بعبق الإهمال – الوسخ كسا أجسادهم حتى شكلت طبقات فوقها طبقات – يمشون مشيا حثيثا حافي الأقدام – أشعة الشمس فوق رؤوسهم تلفح وجوههم.

فقد بدت الشخصيات واضحة المعالم ممثلة في الأم وابنيها، وصراعهم مع الظلم والطغيان والجري وراء دريهمات تحت مقصلة الإهمال، إهمال عنوانه أب متعجرف عديم الرحمة والشفقة، وعطار أناني حجبت عنه أنانيته رؤية ذلك الإهمال والتهميش.

3.2. الأفعوان:

لم يكن الكاتب يقصد من وراء وضعه لهذا العنوان الحديث عن ذكر الأفعى كما ورد في القواميس والمعاجم، ولا لوصف تصرفاته، بينما كان القصد من وراء هذا إبراز الشخصية المحورية في القصة فهي شخصية لعوبة بأفكار الناس، تخل بالوعود، شخصية واثقة من نفسها.

إنها شخصية حميمو هذا الرجل الذي « يريد أن يقضي للناس حوائجها، ينجح أحيانا، ويخفق أحيانا، حديثه كسراب يحسبه الظمآن ماء، يكثر من التسويف ويقسم اليمين أن لا يخيب قاصده، ليس من الذين لا يأخذون ثمنا على أقولهم، يحشر نفسه في كل شيء، يسميه أصحابه بالجنرال لسمعته وثقته بنفسه، كل الوثائق الإدارية يفتي فيها حتى الحلال والحرام يدلي بدلوه فيه... لا يؤمن بحديث الشيوخ يطعن في العربية وأصحابها، ويؤمن بالفرنسية وعشاقها مولع بتقليد الأجنبي، فالحضارة في نظره الآلة والمادة أما ما دون ذلك فهو هراء في هراء.»[20]

هكذا تبدو شخصية حميمو يتنقل من مؤسسة إلى أخرى، ذهابا وإيابا لقضاء حوائج الناس، ولكن ما يعاب عليه هو الإكثار من التسويف وعدم الوفاء بالوعود التي يقطعها على الناس أحيانا « لطالما خالف حميمو وعده، فهو لا يهمه أحد إلا إذا جنى من ورائه مايخدم مصلحته، ولا يفي

بعهده كلامه المعسول يخيل لسامعه أنه ملك، كل ما حصده من أصحاب الأموال وأشباههم أهدره في إتمام منزله الذي أصبح قصرا .»[21]

وإذا كان هذا هو حال حميمو انتهازي بطبعه، ولا يهمه إلا جني المال مقابل الخدمات التي يقدمها للناس، خدمة لمصلحته الشخصية، فلا غرابة أن تكون الزوجة شبيهة لزوجها في حب المال، وقد تجلى ذلك بوضوح في الحوار الذي رصده لنا الكاتب، و الذي تدور مجريات أحداثه بين الزوج (حميمو) وزوجته حين « أدخل يده في جيب قميصه فأخرج منها أوراقا نقدية، وبمجرد ما رأتها زوجته نسيت ما بداخل القفتين وهرعت ناحيته فخطفتها من يده ووضعتها على أنفها، ثم استنشقت رائحتها وهي تقول: رائحة النقود تطربني وتقتل أنفاسي وتبهرني .»[22]

لقد شكلت الشخصية المحورية شخصية حميمو حضورا قويا وفعالا، فهي شخصية لعوبة ومراوغة، قادرة على فرض سيطرتها رغم بساطة المستوى الثقافي والاجتماعي، إنها بالفعل شخصية تحسن التفاوض وتتفوق على أصحاب المال، هذه الصفات وأخرى شكلت تلاحما وتقاطعا مع العنوان، كما شكل تآلف العناصر السردية العنوان، الشخصيات...إلخ هندسة معمارية بامتياز.

3.3. الاجتماع:

يواصل الكاتب تألقه في طرح القضايا الاجتماعية بامتياز، وفي هذه القضية بالذات يلجأ إلى التصوير الفني بأسلوب رشيق، ولغة وصفية جميلة، وعبارات سلسة ، وألفاظ منتقاة، تعكس واقع الشخصيات « فالأدب– استنتاجا من الآراء الاجتماعية– يعيش للحياة، وله علاقات وطيدة مع علم الاجتماع، ولا سيما القصص التي تصرف كثيرا من اهتمامها إلى أوصاف الشخصيات وتعنى بتصرفاتها التي هي أصلا انعكاس لشخوص واقعيين في المجتمع.»[23]

وظف الكاتب ضمير الغائب (هــم)، لأنهم مجموعة من الأفراد عددهم ثلاثة توجهوا إلى واد النور ليعقدوا اجتماعهم، وصورة المشهد تعكس ذلك بقوله « ورأيتهم يتوافدون لاجتماعهم، يجرون خلفهم همومهم وقاروراتهم، منهم من يحمل دلوا فيه أشياء متناثرة بداخله، وكلهم متعطش لإبداء رأيه في الاجتماع.. نزلوا، جلسوا ثم كونوا حلقة وسط المكان الذي كان يعج بفوضى النفايات المترامية هنا وهناك... وفي واد النور يغمرهم السرور وتحيط بهم جدران النسيان.»[24]

إن الكاتب بتصويره هذا المشهد، يفسح المجال أمام الدارس ليتفاعل مع شخصيات القصة هؤلاء الثلاثة الذين جمعتهم الأقدار وتفرقت بهم السبل، فقرروا عقد اجتماع دارت وقائعه في واد

النور، وسط القمامة والروائح الكريهة التي تنبعث من المكان، هذا الاجتماع الذي فقد هويته وأضحى بساطا لتجسيد الطقوس والأكل والشرب والسمر والسهر واللهو والمرح وتارة للتدخين والعبث والصراخ والعويل الصادر من هؤلاء الأفراد الثلاثة « كأنهم ذئاب جائعة تنادي بعضها البعض للانقضاض على فرائسها، فيخمد صوتهم تارة ويحل محله الضحك والقهقهة. إنهم يعبرون عن نشوتهم بالسعادة التي فقدوها.. إنه البحث عن السعادة.»[25]

لقد شكل واد النور ملجأ لهؤلاء الثلاثة للهروب من واقع الحياة المرير إلى عالم السلام، وتحقيق النشوة والسعادة، بين القمامات والزبالات بعيدا عن صخب المدينة وضوضائها، ونظرات أناسها ممن يجعلون منهم مجموعة لصوص.

3.4. على الهامش:

يتناول الكاتب في هذه القصة قضية رجل يبلغ من العمر 52 سنة، عصفت به الأقدار إلى شوارع المدينة، بعدما تخلى عنه الابن، وتركه يعاني تحت وطأة البرد الشديد، وعصف الرياح، وغزارة المطر، لقد أضحى الرجل في موقف لا يحسد عليه « الرِّجلُ حافية، وسروال أسود بدأ يفقد لونه بمرور الزمن، وقميص يرتديه وما هو بالقميص، نصفه حاضر والآخر غائب.. شخص ودع الماء جسمه منذ مدة فأجبره المطر على الاغتسال، وجه أغبر اكتسى الشعر جلده فلم يعد يرى منه سوى العينين، عرفه سكان المدينة بالرجل الصلب في قراراته وحسن أخلاقه قبل أن تتغير حاله فتقذف به جدران البيت الذي آواه طويلا خارجها، فيحتضنه الشارع بعدما تبرأت منه زوجة ابنه ونبذته.. فلم يعد في الرجل نفع .»[26]

قد انتقل بنا الكاتب مباشرة إلى وصف حال الرجل بالشارع، ونقل لنا المعاناة التي يعيشها الأب المنبوذ، ليعود بعدها عبر الذاكرة، ليطلعنا على العرض الذي قدمه الابن لأبيه، وأي عرض هذا الذي يحمل في طياته نكران الجميل، والعرفان بفضائل الوالد، إنه عرض التخلي عن قيم ومبادئ الدين الإسلامي، حين عرض الابن على الأب تسجيله بدار السرور للعجزة، إلا أن الأب رفض رفضا قاطعا- وقال له آخر مرة قبل نفيه: « أي سرور تريدني أن أجده خارج بيتي هذا الذي تعبت من أجله وذقت في سبيل تشييده الويلات .»[27]

لم يكن هذا الرجل يدرك بأنه سيطرق باب الشارع المظلم، يتسكع فيه باحثا عن الطعام جنبا إلى جنب مع الحيوانات الضالة، لقد فقد احترامه وهيبته ووقاره، فبعد الصلابة والقوة، والعزة

والهناء، والفرح والسعادة، هاهو حاله ينقلب رأسا على عقب، تشرد وحرمان، وتعاسة وشقاء، يصارع قساوة الطبيعة « ومن حين للآخر يسترجع ذكرياته الجميلة التي كان يحياها داخل بيته، فيرى ابنه الصغير أمام عينيه يكبر يوما بعد يوم فيلاطفه، ويمازحه ليحل محل أمه بعد وفاتها.»[28]

استطرد الكاتب في الوصف لحركات وسكنات الرجل المسكين الذي تحول حاله من حال الأمل والفرح إلى حال الألم والحزن، جراء عقوق الابن وتخليه عن أبيه في وقت الحاجة إليه.

لقد تمكن الكاتب من نقل صور المعاناة التي لقيها هذا الأب المسكين خارج أسوار بيته، جراء برودة الطقس الذي جمد الدم في أعضائه، لينقل إلى المستشفى بعد وقوعه على الأرض، وهو على فراشه في المستشفى أحس بالدفء، فراوده حلم العودة إلى البيت، وما يزيد الموقف حدّة هو عبارة الممرض: لا تتحرك يا أبي، عبارة ألهمت مشاعر الأب المسكين، وحركت عواطفه، ورسمت معالم البسمة على محياه، وشكلت لديه سعادة ممزوجة باليأس والقلق وخيبة الأمل ، متسائلا في نفسه، هل سيسمع كلمة " أبي " مرة أخرى.

4. سيميائية الزمن والمكان:

لقد أولى الكاتب عناية كبيرة للزمن، وهذا ما لمسناه عند تحليلنا للمجموعة القصصية " أوهام لم تتحقق " وقد سار في ذلك على نهج الأوائل، فوجدناه في كل قصة من هذه المجموعة يضع الوقائع والأحداث ضمن إطارها الزمني المعين سواء كان ذلك في الماضي أو الحاضر، والأكثر من ذلك كله « إن أهمية الزمن من حيث هو مكون، لا تتوقف عند هذا الحد الذي يجعلنا نلتفت لوجوده الدائم في مراحل تكوين تلقي الأنواع الأدبية عموما، بل إن موقعه المهم داخل البنى الأدبية، خاصة السردي منها، حيث يعد من أهم المكونات التي يتكون منها السرد.»[29]

لقد سجل الزمن حضوره بالفعل داخل المجموعة القصصية، وعلى سبيل المثال لا الحصر في 4.1. **تحت مقصلة الإهمال: (قطـار التسول)**: يقول الكاتب: « وتدخل فريد وعمر عقديهما الثاني.»[30] والمراد هنا تحديد الفترة الزمنية وجاءت كلمة تدخل للدلالة على بداية العقد الثاني أي (10 سنوات) وهي مرحلة الطفولة كما سبق وأشرنا إليه، يكون فيها الطفلين في المدرسة لطلب العلم ، وليس في الشارع لكسب دريهمات، وفي ذلك دلالة على الحرمان والبؤس والشقاء... إلخ.

4.2. الأفعوان: في هذه القصة حدد الزمن بالفترة الصباحية عند قول الكاتب « هكذا يقضي حميمو يومياته الصباحية في ذهاب وإياب، يتنقل بين مؤسسات عدة، عمومية وخاصة في سبيل قضاء حوائج الناس...»[31] حدد الكاتب هنا زمن الفترة الصباحية، ذلك أن زمن هذه الفترة مخصص للنشاط والحيوية، وإنجاز المشاريع، يسعى فيها حميمو الشخصية البطلة لمزاولة نشاطاته، واتمام صفقاته المعهودة.

4.3. الاجتماع: في هذه القصة حدد الكاتب الزمن ليلا على عكس القصة السابقة حين يقول: « وبدأ نسيم الليل ينقل إليهم روائح المجوهرات التي كانوا يتوسدونها...»[32]

ثم يقول في مقام آخر « أخذ النعاس يطوق من في المدينة ويعتلي بيوتها الواحد تلو الآخر أما الثلاثة الذين خُلفوا في هذا الوادي فهم يقاومونه بسمرهم ومرحهم...»[33]

يمثل الليل فترة الراحة والهدوء والسكينة، وهو دليل على هروب هؤلاء الثلاثة من ضوضاء المدينة وصخبها، والاختلاء بمكان لا يعبره المارة والناس كثيرا، فيخرجون ما بجعبتهم من هموم ومآسي، بأعلى أصواتهم كعويل الذئاب، وبهذا الشكل يشكل الليل ملجأ ومتنفسا بالنسبة لهؤلاء الأفراد الثلاثة، تجرى فيه أطوار الاجتماع الوهمي.

4.4. على الهامش: ورد ذكر (الساعة العاشرة ليلا) إشارة من الكاتب إلى تواجد الرجل المسكين أو الأب المنبوذ من الابن وزوجته في ظلمة الليل، هذا الوقت بالذات يدل على أن السكون والهدوء يخيم على شوارع المدينة، والرجل يصارع أهوال الطبيعة القاسية من برد ومطر ورياح... إلخ. هذا عن المكانة التي حظي بها الزمن داخل المجموعة القصصية.

لا يقل المكان أهمية عن الزمن، فهو ذلك الحيز أو الفضاء الذي تدور فيه مجريات الأحداث والوقائع، ولا يمكن الاستغناء عنه إذ « يعد المكان واحد من أهم مكونات النص السردي فهو – بداية – مسرح الأحداث والإطار الذي تدور فيه.»[34]

من الملاحظ أن الزمن والمكان يشكلان مسرحا وفضاء لمجريات الأحداث، يهدف من ورائهما الكاتب إلى تبيان حجم المعاناة والإحاطة بظروف الشخصيات، واستنباط الدلالات العميقة والرموز المعبرة عن الواقع المعاش.تمثل شوارع المدينة مسرحا لاحتضان الأم وابنيها في قصة تحت مقصلة الإهمال، وللرجل المحنط أو الأب المنبوذ في قصة على الهامش، بينما كانت المقاهي في قصة الأفعوان مسرحا للشخصية المحورية حميمو، ليترصد ويترقب فرائسه من أصحاب المال،

والانقضاض عليهم في الوقت المناسب، أما في قصة الاجتماع كان واد النور المليء بالقمامات والزبالات مسرحا لعقد الاجتماع الذي دارت وقائعه بين ثلاثة أفراد، ولم يكن الاهتمام بالزمن والمكان إلى هذه الدرجة وليد فراغ، ولكن بغية نقل وتصوير واقع شخصيات المجموعة القصصية.

خـاتمة:

– تمثل المجموعة القصصية صورة اجتماعية بامتياز تحمل في طياتها صور من الحرمان والشقاء والبؤس، لفئة من فئات المجتمع، تمثلها الطبقة الكادحة هذا من جهة، وفي الجهة المقابلة تحمل قيم الظلم والاستبداد، والحقد، والانتهازية، والتسلط...إلخ.

– بفضل القراءة السيميائية تَمكنا من الكشف عن بنيات متضادة متعددة، وتفكيك شفرات ورموز ودلالات مختلفة، عبر برنامج سردي انطلاقا من:

– سيميائية العنوان، هـذا الأخير الـذي يعكـس حقيقتـه ويكشـف دلالتـه ورمزيتـه التحليـل السيميائي الذي انتهجنـاه في الدراسـة، فالوهـم كـالسراب ذو سمة خيالية، لاوجود له، فالظمآن يعيش على أمل العثور على الماء وسط صحراء قاحلة، ويبقى متمسكا بفكرته على الرغم من أنها مجرد أوهام لم تتحقق. والوظائف السردية للشخصيات، سيميائية الشخصيات، أضف إلى ذلك سيميائيةالزمن والمكان.

– إن ما يميز هذه المجموعة القصصية هو ذلك التعدد والتنوع في الشخصيات، مما يتيح إمكانية تعدد وتنوع الأفكار والرؤى. إنها فعلا مزيج من الشخصيات التي سجلت حضورها في مجتمعنا، والتي يهدف الكاتب من ورائها إلى رصد مواقف وصفات ووظائف سردية لشخصيات متنوعة، نجد منها الطيب، المهمش، المظلوم، المحروم، المستبد، الظالم، الانتهازي، الأناني، الحقود، الغيور، الحسود، عديم الإحساس، اللعوب، الجريء، الواثق من نفسه، المراوغ، مخالف الوعود، الوفي، الخلوق، المحترم، المهمش، المنبوذ، المتكبر، عاق الوالدين، الخبيث، المذنب، فاعل الخير، المحسن... ناهيك عن المرأة ربة البيت، المدللة، اللعوبة، المحبة للمال، المتسلطة، المتعجرفة، الشريرة...أضف إلى ذلك صفات عديدة ومتنوعة نجد منها: الحرمان، الشقاء، البؤس، التهميش، الانحراف، والقائمة طويلة لا يسعنا المقال لحصرها جميعا.

– كل شخصية من شخصيات المجموعة القصصية كان يدور بداخلها حوار حول كيفية تحقيق تلك الأوهام والخيالات، أو بعبارة أخرى ذلك النزاع والصراع داخل النفس تخطيطا لتحقيق

أوهام هي للسراب أقرب من الحقيقة، وقد سجلنا نوعا من الحوار الخارجي في بعض مواطن المجموعة القصصية، أراد من خلاله الكاتب إظهار حقائق ودلالات معينة.

هوامش:

* الطيب عطاوي من مواليد 29 ديسمبر 1976 ببني عباس (بشار-الجزائر)، تحصل على شهادة اللسانس في اللغة والأدب العربي سنة 2001 من المركز الجامعي بشار، شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي بالمركز نفسه سنة 2007، نال شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي تخصص لسانيات عامة سنة 2016 بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، شغل منصب أستاذ في اللغة والأدب العربي بثانوية أبي الريحان البيروني بشار، أستاذ متعاقد بجامعة طاهري محمد بشار، أستاذ دائم بالمركز الجامعي صالحي أحمد النعامة. له مقالات عدة أكاديمية دولية، وثقافية فكرية وتربوية، وأعمال إبداعية، تنوعت بين القصة القصيرة، والقصيدة، ومسرح الطفل، نشرت بمجلات وصحف مختلفة، شارك في ملتقيات ومؤتمرات محلية ودولية، يشغل حاليا رئيس قسم اللغة والأدب بالمركز الجامعي النعامة.

1- عبد المالك مرتاض، شعرية القص وسيميائية النص، تحليل مجهري لمجموعة تفاحة الدخول إلى الجنة، البصائر الجديدة، الجزائر.ص 16.

2- دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة.طلال وهبة، مراجعة د.ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط/01، 2008، ص 43.

3- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج تطبيقية)، منشورات الدار الجزائرية، سنة 2015، ص 21.

4- المرجع نفسه ص 50.

5- آراء عابد الجرماني، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، دار الأمان، الرباط، ط/1، 2012، ص 26.

6- آراء عابد الجرماني، مرجع سابق، ص 22.

7- محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، بيروت، ط/2012،01، ص 74.

8- مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجميات وإحياء التراث، مكتبة الشرق الدولية، مصر، ط/04، سنة 1425هـ / 2004م، ص 1060.

9- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، دار الثقافة، بشار - الجزائر، ط/01، سنة 2010، ص 13.

10- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، ص 14.

11- م ن، ص 30.

12- م ن، ص 31.
13- م ن ، ص 41.
14- م ن، ص 47.
15- م ن، ص 49.
16- عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص 73.
17- محمد مرتاض، السرديات في الأدب العربي المعاصر، دار هومة للطباعة والنشر الجزائر 2014.ص 116.
18- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، ص 12.
19- م ن، ص 14.
20- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، ص 26.
21- م ن، ص 28.
22- م ن، ص 29.
23- محمد مرتاض، السرديات في الأدب العربي المعاصر مرجع سابق، ص 33.
24- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، ص 40.
25- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، ص41.
26- م ن، ص ، ص 46.
27- م ن، ص 47.
28- م ن، ص 48.
29- هيثم الحاج علي، الزمن النوعي وإشكالات النوع السردي، بيروت لبنان، ط/1 سنة 2008، ص 24.
30- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، ص 12.
31- الطيب عطاوي، أوهام لم تتحقق، ص 30.
32- م ن، ص 42.
33- م ن، ص 42.
34- هيثم الحاج علي، مرجع سابق، ص 140.